



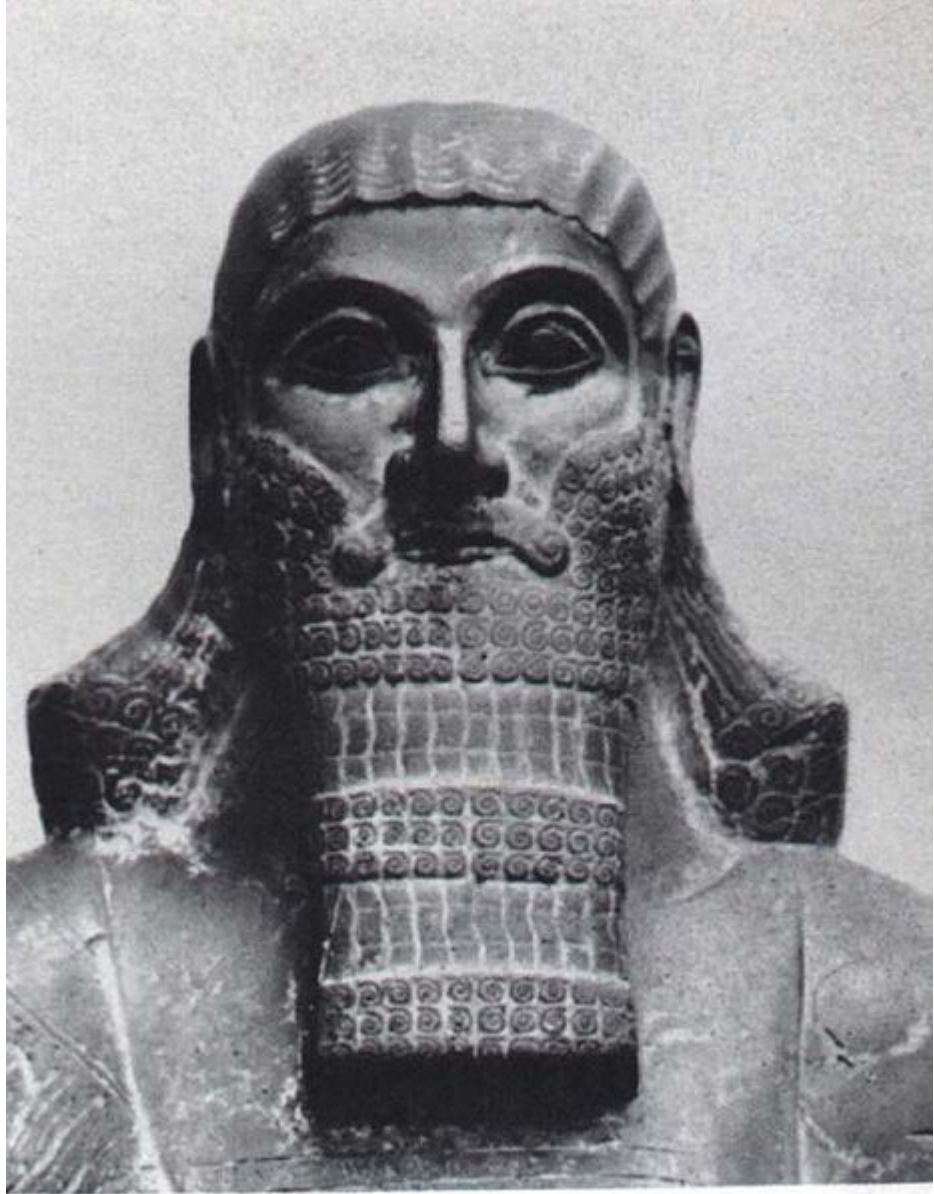
الرئيس آشور بانيبال... يصل الى (ممفيس)

القائد الآشوري (629 / 669 ق.م)

انه مولعا بالآداب والفنون الجميلة ، وجمع كتب كثيرة وأمر بترجمة ألواح الطين المكتوبة باللغة السومرية والاكديية والبابلية وحفظها في مكتبته العامرة، المكتشفة في نينوى.

إنها دولة رافدينية تحمل معاني عديدة ، ولم تكن فارغة من المعنى حتى في تركيبها الكلامي وان تشير إلى انهيار الحواجز بينها وبين بابل ، ولكن لم ينهار الحب وتدفع هذه المدينة الحكم المستأنف لما تحمله من بطولات أقاموها حكامهم في العهد الآشوري ، وعلى هذا الأساس وحبه إلى الفنون والآداب يأمر هذا الشاب قائد جيشه الآشوري (شانبو شو) بالنيابة عنه والاستمرار بالسير مع الجيش الذي كان والده قد جهزه لقمع الفتنة في ارض النيل فتقدم هذا إلى الدلتا ليقدم تفسيراً جديداً للذهاب ولم يعد ينقل عاطفة مفردة بسيطة ، وإنما ينقل غابة من أصوات السيوف ، وجرار العربات التي تقودها الحيوانات كانت محملة بالعواطف والمشاعر ولكن يجد من هو قائم على الفتنة (طاه رقا) والأمراء المصريين الآخرين ويصل إلى (ممفيس) وبذلك يفتح الباب على مصراعيه ، ليدخل منه ويلحق (طاه رقا) حتى مصر العليا ويفتح طيبة بمعرض فني آخر ويعلن أن مصر جميعها تحت السيطرة الآشورية ، معتبرا هذا البلد له أبعاد متميزة ، تكفل له الوجود المستقل ويرسم من خلال مصر تسميات لثقافة بلاد الرافدين إلى سومر وبابل وآشور وهذا الأمر مثل نظرة مستأنفة لتلا قح

ثقافات الشعوب ، ويقع على نقطة مهمة وهي لا بد لمصر أن تقدم الولاء لسومر وبالذات آشور المدينة التي اتخذها (بانيبال) اعتراف ذاتيا يومئ إلى نينوى إنها إمبراطورية كبرى ، ولم ينتهي إلى هنا وإنما أمر المصريين أن يدفعوا الجزية . وأقولها وملء فمي انه فنان وأديب وكاتب مرموق أراد فقط أن لا يخلف أمر أبيه ، وان يقضي على الفتنة في مصر ، وإنما شاهد فنون وثقافة مصر هي الأخرى بأهمية آشور بأهمية سومر وبابل ، وأراد أن يضم هذه الدولة إلى دولته ، لم يكن متقصدا بحرب ولا سيوف ولا عربات وإنما أراد أن يقول أنا أحب الفن والآداب والثقافة واجد ضالتي في بلاد النيل ، ليعلن انه بلاد الرافدين تحتاج إلى رافد جديد يخضع تحت السيطرة. إنها كانت السلالة السادسة والعشرين وكانت موالية للدولة الآشورية .



إنها لحظات إضاءة من تاريخ بلاد الرافدين ، لنقدم دليلا ليس على صراع معين أو نبحت في جوف الصدقات ، عن لحظات الدمار والقتل ، وإنما نعلن أننا بحاجة إلى الحب والعاطفة والوجدان والتعامل بالضمير ، بدليل هي محاربة الفتنة التي اندلعت بأرض مصر إنها ليست حالات غضب إنها وصول إلى ثقافة جديدة (ممفيس):

ممفيس أو منف مدينة مصرية قديمة من ضمن مواقع التراث العالمي, أسسها عام 3200 قبل الميلاد الملك ارمر وكانت عاصمة لمصر في عصر الدولة القديمة وكانت فيها عبادة آلهة القدماء.

وكانت منف معروفة باسم "الجدار الأبيض" حتى القرن السادس والعشرين قبل الميلاد إلى أن أطلق عليها المصريون اسم " من نفر " وهو الاسم الذي حرفه الإغريق فصار "ممفيس" ثم أطلق العرب عليها "منف". وأريد أن أصل في أقصى حالات الشاعرية وأتمنى على (بانيبال) لم يقدم على قتل أي احد من أهل النيل وهذا واضحا أن أرى انه أصابعه وأنامله في الفن والثقافة لا في قرعة السيوف ، ودماء أهل النيل انه يمثل جوانب مهمة من علاقة القائد بشعبه وانها رغبة في كشف عن سمات وقضايا اخرى تتعلق بعلاقة اشور وبابل ، انني هنا لست موجودا لاصح التاريخ بما هو ايجابي بقدر ما هو عرض لحقائق مهمة لاهل شعب واحد، كانت بابل تقع تحت حكم الاشوريين عندما عين (اسرحدون) احد اولاده المدعو(شماش شم اوكن) حاكما عليها عندما تسلم الحكم (بانيبال) في نينوى تقدم اخوه(شماش شم اوكن) بالطاعة والاعتراف والاعتراف بالسلطة الى نينوى، انها عين الديمقراطية وتقدم الولاء ليس للاقوى وانما الاقلية تتبع الاغلبية هذا التفكير لوحدته يجعلك ان تقول ان الحوار هو وسيلة التفاهم بحلول المشكلات ، وتنحصر هموم المجتمع الرافديني بصراع معين محصور ليس صراعا طبقياً في المجتمع الواحد وانما هذه تبسيطات لحلول للواقع الاجتماعي في بلاد النهرين، هناك اعتقادات كثيرة اجهرت بالقول ان العدا بين اشور وبابل كبيرا ومثل طرف الصراع لسقوط الدولة البابلية، نعم هناك حروب وهناك حملات عسكرية وفي اعتقادي القضاء على الفتنة هي الاسلوب الامثل لاصلاح المجتمع، بعد تعطل لغة الحوار ان (اشور بانيبال) يثبت ان الوضع الانساني كله لايتعدى الصراع الطبقي في المجتمع الواحد.

هذا الامر جعل من (بانيبال) ان يعترف بملوكية اخيه على بابل وهكذا تعاون الاخوان على حكم بلاد الرافدين مدة عشرين عاما مثلما تعاونوا على حكم بلاد النيل في السلالة السادسة والعشرين .

ولناخذ قضية مهمة هي الانحرافات في الحكم قائمة ، وما اقساها على الحاكم الاول في ان يقف اخيهفي تيار التمرد الذي طغى على بابل وكان هذا السبب هو احد اسباب النزاع فشق عصا الطاعة ضد اخيه، ليعلن (بانيبال) حملة تاديبية ضد اخيه وللقضاء على التمرد وحاصر اخيه وحرقه في القصر انها علامات مرصودة في حكومات وسلالات بلاد الرافدين لان الفرد المتمرد منهزم قبل ان تبدو امارات

هزيمته ، اذ من ذا الذي يستطيع ان يقف بوجه (ملك اشور) انه حتى في التنبؤ خاسرا كون الملك ينتصر في النهاية ، الصراع هنا طبقي وطرف المعادلة واضح من ملك مثقف، واهتماماته واضحة في الفنون والاداب والعمران والبناء لايصح ان ينقاد بسهولة الى طغيان التمرد حتى وان كان من اقرب الناس اليه وهو اخيه

انه يكشف صفاءه يكشف عكر العالم المحيط به ليجهز حملة اراد ان يخضع كل القبائل تحت سيطرته ويهاجم العيلاميين في عقر دارهم ، ويفتح عاصمتهم سوسه ويضعها تحت السيطرة ، وهناك من المؤشرات صلابة الصفاء بصلابة الدويلات المجاورة هذا يولد الشرارات المضيئة للعالم عن طريق نبع الثقافات من هكذا دويلات والمرور بها هو اكتشافات الدويلة نفسها لنعلن ان صفاء الانسان هو قبل صفاء العالم ، ونقطة التصادم مطلوبة ولكن ليس بالسيوف ، وانما بالفنون والثقافة والادب والبناء والعمران انه حكم بلاد الرافدين (42) سنة ولكن كانت الحوادث التاريخية في اواخر حكمه غير واضحة ومرتبكة ولم يرد اسمه في الاخبار المدونة خلال السنتين الاخيرتين، وعندما توفي (اشور بانيبال) حدثت منازعات على العرش الاشوري استطاع ابنه ان يفوز بالحكم (اشوراتيل ايلاني)

انه الملك الذي تقرد في خلايا الفن والثقافة ويتردد على الالهة بما وهبت وكان مضائوه يقع على كل مايقوم به ، وحركته في الحملات الحربية وباصوات حوافر الخيل وصوت الاذرعة النابضة الممتلئة ، والتي لم يبالغ بها الفنان الاشوري في النحت او الرسم الجداري في تنفيذها ، انهم مشغولون بترقب للفن والثقافة والعمران والحروب عندهم قضية ثانية ، ربما كانت جانب في حياته ، ويقوم بدرء الفتن هنا وهناك، وهذا جعله ان يصل الى (ممفيس) كبداية لمسح المد الطاعي ، ومن هناك بسط المشكلة ووضعها في جو السيطرة ، ليؤكد مرحلة وجدان الهوية الاجتماعية انه صفاء الفنان والمثقف وحاولت ان اكشف ابعاد تلك القضية بصورتها التاريخية ، لان المجتمع بحاجة الى افراد مفكرين وفنانين ومثقفين وادباء ، او على قدر الامكان الاهتمام بالموجودين من ابناء الرافدين، ونترك درء الفتن لمن لهم هويات وعناوين مميزة داخل هذا الاطار.

محمد العبيدي